مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

التداولية؛ والفلسفة التحليلية؛ قراءة في تعدد المصطلح وأثره بالعلوم المعرفية (دراسة موضوعية)

رشا محسن عباس
معلمة جامعية، مديرية تربية ذي قار
إسحق رحماني
قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة شيراز، إيران

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

التداولية،فلسفة، تحليلية، تعدد المصطلح، العلوم المعرفية

المستخلص باللغة العربية:

يتناول هذه الورقة البحثية الكشف عمّا هو متعلق بالموضوع فيما يخص تسليط الضوء على أم النظرية (التداولية) وتعاريفها وأصولها التاريخية وعلاقتها بالعلوم اللغوية الأخرى ؛وموقفها من الفلسفة التحليلية ، وعلاقتها بالعلوم اللسانية الأخرى ومنها العلوم اللغوية والبلاغية والبنيوية وتحليل الخطاب والكثير من العلوم المعرفية الأخرى، والوقوف على تعدد المصطلح، عند الغرب وعند العرب؛ يهدف البحث جاهداً للوصول الى فائدة علمية تكمن في إظهار أهمية البعد التداولي كعلم من علوم اللسانيات الحديثة، وإبراز دوره فيما بين العلوم.أنّ اللسانيات التداولية ولدت من رحم الفلسفة التحليلية في إطار ما يسمى فلسفة اللغة العادية، وفلسفة اللغة الطبيعية، وان العلاقة بين البلاغة والتداولية علاقة تواصلية تحرص على ابراز العلاقة بين المرسل والمتلقي في إيجاد طريقها ؛ ضمن الحقل التداولي، أن أهم ما بعلاقة علم الدلالة بالتداولية ارتباط دلالات اللغة بالاستعمال ضمن مقام محدد، الأمر الذي جعل علم الدلالة في تقاطع مع التداولية في الفلسفة، ناهيك عما توصل إليه البحث من أن ظروف استعمال اللغات الطبيعية في إطار وظيفة التواصل تجعل منها بنيات تحدد خصائصها. اعتمد البحث المنهج الوصفي- التحليلي الملائم لطبيعة الدراسة، والذي يكون هو المنهج المتبع طيلة البحث؛ ذلك لأنه لا يمكن البدء بالتحليل من دون الوصف، فالمنهج الوصفي- التحليلي هو المنهج الأساسي في هذه الدراسة.

١. المقدمة

يتفق الكثير من علماء اللغة والباحثين بأن موضوع الإلمام بتعريف شامل للتداولية، يحمل الدقة بين طياته هو أمر لا يخلو من الصعوبة، ذلك لسعة مجالها في المنظومة الفكرية اللغوية الحديثة، فهي غنية برؤى تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، خاصة وأنّ الكثير من علماء اللغة عدَّ التداولية مبحثاً من مباحث الدراسات اللسانية والتي تطورت في بداية السبعينات من القرن العشرين، أهم ما تناوله هذا المبحث أنّه يدرس كيفية فهم الناس وإنتاجهم للفعل التواصلي، انطلاقاً من تميزها الذي يقوم على أساس المعنيين القائمين بين كل ملفوظ وكل فعل تواصلي لفظي، فالأول هو القصد الأخباري أو معنى الجملة،

والثاني هو القصد التواصلي أو معنى المتكلم، حيث تكون القدرة على فهم وإنتاج فعل تواصلي بإمكاننا أن نسميه الكفاءة التداولية، والمتضمنة معرفة المرء بالمسافة الاجتماعية والمرتبة الاجتماعية بين المشاركين في الموقف. ناهيك عن أن المعرفة الثقافية والمعرفة اللغوية الظاهرة والضمنية تقع ضمن سياق النظرية التداولية.

من أهم الامور التي سيركز عليها البحث في هذه الدراسة هو تسليط الضوء على النظرية التداولية ضمن الدراسات اللسانية الحديثة، في سياق تعدد المصطلحات والرديفة لمعنى التداولية في الخطابات التواصلية، خاصة وأن تنوع الخطاب واختلاف الاساليب في النصوص يوفر مجالا ثرياً يتناسب والدراسة التي سيجريها البحث معتمدة على استقراء هذه النوع من التداوليات وعلاقتها بالعلوم الأخرى، ووصفها وتحليلها، ثم ابراز مدى تأثير التداولية في الخطاب ودورها في عملية التواصل والإبلاغ، بوساطة علاقتها مع العلوم الأخرى ويعمل البحث على تسليط الضوء على سياقات تداولية اخرى تكون مساندة في اظهار أهمية التداولية كعلم من العلوم اللغوية.

يصعب على الدارس التمييز بينها فمثلا نجد (روبول، أن، موشلار، جاك) يشير إلى الفرق بين مصطلحات المستخدمة في التحليلات اللغوية أو تسميات النظرية نفسها، من حيث " الافعال اللغوية أو الأعمال اللغوية" في شأن هذه الظاهرة وهي ظاهرة الأعمال اللغوية غير المباشرة. حيث نجد تداخل المصطلحات نفسها ، يعتبر إحدى الصعوبات التي تقوم عليها عملية التطبيق الإجرائي.

ويبدو ان من اهم ضروريات البحث التي تقع على عاتقه ان التداولية لها أبعاد كلامية وقولية فعلية بين (مرسِل ومرسَل اليه) متكلم ومتلقي، كان حريٌ به ان يحاول الخوض في دراسة آليات وعناصر ومجالات التداولية (الضمنية والصريحة) (الإنجازية والمؤثرة) محاولة ايجاد اسس للفهم اقوى واقرب للواقع الحداثوي. كذلك يهدف إلى الخوض في هذا العلم وعلاقته بالعلوم الأخرى.1-كثرة المصطلحات لمعنى التداولية فتحت الأفق البحثي أمام الباحثين لتناول دراسة هذه العلاقات، ناهيك عن ثراء هذه النظرية بعلاقاتها مع العلوم الأخرى. 2-يحاول البحث ان يساهم ولو بنسبة بسيطة في اغناء البحث العلمي بدراسة تلاقحيه لمجموعة المفاهيم الواردة ضمن النظريات التداولية لتقريبها للقارئ. قلة الدراسات بشكل عام لعلاقة التداولية بالعلوم الأخرى، أو دراسة المصطلحات الخاصة والمرتبطة بالتداولية. توسعة الأفق الخطابي التواصلي الاجتماعي في دراسة النظرية التداولية ضمن العلوم اللسانية. كما ويحاول البحث الوقوف على أهم الإشكاليات التالية:

- ماهي أهم القراءات المتعددة لمصطلح التداولية؟
- ما علاقة مصطلح التداولية بالعلوم المعرفية الأخرى؟
- كيف وظّفت التداولية علاقتها بالفلسفة التحليلة ضمن علم اللسانيات؟

٢. الدراسات السابقة

البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني/ مقال، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد الاول/ المجلد الثالث،2019م (المجلة العري للعلوم ونشر الابحاث) ، للباحثة عائشة صالح أحمد بابصيل، تتناول به الباحثة مفهوم القصد في الدرس اللساني التداولي لأفعال الكلام، توجد به نقاط الالتقاء بين هذا القصد وبين الدرس اللساني العربي المرتبط بالخطاب القرآني، وتتناول قضايا بين الفريقين العربي والغربي من ناحية اتفاق الفريقين بمفهوم الخطاب عن انه فعل تواصلي قصدي ، ومن هذا الجانب سيستفيد البحث منه .

تجليات البعد التداولي لقضايا السماع في النحو العربي، رسالة ماجستير للباحث: شريك هاجر، يشير هذا البحث إلى أن التداولية أصبحت مبحثاً مطلوباً في الدراسات اللغوية الحديثة باعتباره منجزاً إنسانياً في أصله، يستوعب المتكلم نفسه ويحتويه ويمنحه صفة البشرية. دراسة الكتور مسعود صحراوي (التداولية عند العلماء العرب، وهي دراسةتداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،) ومقال لدراسة البعد التداولي عند سيبويه للباحث مقبول إدريس

٣. التحليل والمناقشة

التداولية و علاقتها بالعلوم اللغوية

لقد تجاوزت التداولية" المفاهيم اللسانية التقليدية التي تبنت في دراستها، دراسة اللغة كنظام لساني يدرس في ذاته ولذاته إلى دراستها كنظام للتواصل الفعّال. فإذا كانت التداولية هي" دراسة استعمال اللغة" عوضا عن " دراسة اللغة" فاللسانيات، كما هو معلوم، تتفرع للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، فقد تحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد، في حين أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين" ، فأصبحت بهذا الشكل اللغة في ظل هذا التحول فضاء للإنجاز والممارسة والفعل.

فلا تنفك اللسانيات في دراستها للغة عن الظواهر التداولية، بل تعجز اللسانيات الوظيفية عن تحليل النصوص إلا في إطار البراغماتية. " وبالرغم من ذلك فقد انقسمت النظريات اللسانية إلى صورية ووظيفية (تداولية) ومن مبادئ القسم الثاني: أنها تجعل اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها، ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية؛ وظيفة التواصل، ومن هذه النظريات (البراجمانتاكس) التي تمثل أحدى التطورات الأخيرة لما كان يدعي (الدلالة التوليدية) والنظرية الوظيفية" (صحراوي، 2005: 28)

علاقتها باللسانيات النصية:

يرى سعيد حسن بحيري" أن البداية الفعلية لهذا العلم كانت في بداية السبعينات بعد أن اكتملت ملامحه الفارقة، وإن كان من المستحيل أن ينفصل عن عدة علوم أخرى انفصالا كاملا، لأنه يركز على خاصية جوهرية له تحول له دون ذلك وهي خاصية التداخل" (بحيري، سعيد حسن : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص12)، حيث نرى لـ " فان دايك " محاولات لوضع أطر نظريات يتعلق بعضها بتحديد الخصائص البلاغية والاخرى بالأبنية النصية... ويبدأ بتحديد الأشكال الصوتية والأشكال النحوية ثم الأشكال الدلالية". " وعلى الرغم من إدراج علماء النص لعناصر من الأنحاء التحويلية التوليدية، إلا أنهم عدّلوا تصورات تلك العناصر وربطوا بينها وبين عناصر دلالية وتداولية تعني بالتفاعل الحقيقي بين النصوص ومنتجيها ومتلقيها بوصفها أحداثاً اتصالية (بحيري، 1997: 94-97.).

علاقتها باللسانيات البنيوية:

كانت اللسانيات البنيوية هي الشرارة التي ألهبت حقل البحث اللساني الحديث مبرزةً من جديد قيمة آراء الروّاد التي شكّلت الأسس المتينة للسانيات. توصف اللسانيات البنيوية بوصف "الشكلانية والصورية" أي البُعد عن الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المجسّد مما جعل جهازها الواصف مفتقراً إلى التعيين والإحالة، لافتقادها للقواعد الإحالة التفسيرية، فالملفوظ الآتي:

" لقد زادوا قيمة الضرائب"، لا تقدم اللسانيات البنيوية فيه أي قاعدة تفسّر الضمير الذي أُسند إليه الفعل "زاد" وتُعيّن المرجع الذي يُحال عليه في الواقع الخارجي عن اللغة، إذا ما استثنينا بعض التوجهات اللسانية الوظيفية التي ظهرت في السنوات الأخيرة كـ "نظرية النحو الوظيفي" لسيمون ديك Simonمثلاً، رغم أن نظريته أكثر تأثرا بالتداولية وأشد. أما في التداولية فتوجد آلية (أو عدة آليات) لتفسير هذا الضمير وتعيين المرجع في الواقع الخارجي؛ وهذا ما يعزو للتداولية بعض المميزات عن اللسانيات البنيوية: كالاتصال المباشر، ومباشرة العالم الخارجي . وتتأسس الاستدلالات التداولية على أعراف اجتماعية، ولذلك قد تكون نسبية، فمثلاً في الملفوظين الآتيين:

- هل تريدُ فنجاناً من القهوة؟.
- إنها تحول بيني وبين النوم.

كيف عرف السائل أن محاورهُ يرفض القهوة ؟ وكيف عرف المجيب أن القهوة تحول بينه وبين النوم؟ كيف تم الاتفاق والتواطؤ بينهما من جهة وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى على ذلك؟ إنهما يعالجان تلك الملفوظات "باستدلالات ومعلومات مستقاة من معارف مستمدة من الواقع الخارجي، وبتواضع من أفراد المجموعات اللغوية المتواطئة على ذلك" (صحراوي، 2005: 28-29) "لم تنتقل اللسانيات إلى واجهة العلوم الإنسانية وتصبح علماً طليعياً إلا حين ارتبطت بصفة(البنيوية) أو (الوصفية)" (غلفان، 2013: 18).

علاقتها بالنحو والنحو الوظيفي:

النحو الوظيفي" يعد أهم روافد للدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية، بل إنّ من الدارسين من جعل (الوظيفية) في عموم معناها، تقابل (التداولية). في السبعينيات النحو الوظيفي المقترح من (سيمون ديك) يجمع بين المقولات النحوية المعروفة، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام" (بوجادي، 2009: 126).

يمكن القول: إنّ النحو الوظيفي، وهو يحدد أهدافه في تحقيق كفاية نفسية، كفاية تداولية وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامّة للتفسير التداولي للخطاب، لكن (سيمون ديك) يذهب إلى ابعد من ذلك؛ حين يقترح أن يُدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية أوسع، او نظرية لغوية شاملة، تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة

يظهر ان النحو الوظيفي له أهمية كُبرى في تحديد سياقات الجمل الوظيفية عندما تتحقق إحدى الكفايات(النفسية، التداولية، النمطية)، كون العلاقة- كما هي واضحة- بين الخطاب وتفسير الخطاب وفق هذه النظرية تجعل من التداولي يتوسع في خلط اكثر من نظرية توضع تحت بطانة التداولية.

التداولية والبلاغة:

البلاغة هي:" وصف يوصف به الكلام والمتكلم، فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته، أي فصاحة الكلام، وقيل تنبئ عن الوصول والانتهاء، أما في المتكلم: فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فكل بليغ كلاماً كان أم متكلما فصيح؛ لأن الفصاحة مأخوذة من تعريف البلاغة، وليس كل فصيح بليغ" (الجرجاني، 1998: 42-43).

أن "البلاغة والتداولية ترميان إلى النظر في أحوال المتخاطبين أثناء الحديث ضمن الترسيمة التواصلية، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على ابرازها قد وجدت طريقها في حقل التداولية، التي عنيت بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلي، الأمر الذي نجد له حديثا في البلاغة العربية بما يعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، لتضمن البلاغة بهذه الرؤية محورين جوهريين وهما المحور اللساني - السياق- (والذي يعتمد على كفاءة المخاطِب والمخاطَب) والمحور غير اللساني- السياق- فهو ذلك الموقف الذي ينتج فيه الخطاب(اللغة) بربطه بطرفي التخاطب(المخاطِب ، والمخاطَب) للوصول إلى الهدف من التوصل، والذي يتمثل في التأثير" (حامدة، 2012: 13).

إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي يستثمره المتكلم في موقف محدد، والبلاغة والتداولية (البراغماتية) تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف. ويرى (ليتش) : أنّ البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما.

وانطلاقا من رأي ارسطو الذي عقد صلةً بين البلاغة والجدل، وطور البلاغة على أساس المستمعين و المخاطبين. هنا يشير صابر الحباشة الى أنّ" البلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة، غير معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيمة الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للأقناع، وخاصة وسيلة للإبداع أي" الحضور"، (أي جلب أشياء إلى ذهن السامع ليست حاضرة في ذلك الحين)، وذلك عبر تقنيات التمثُّل" (الحباشة، 2008: 16).

التداولية وتحليل الخطاب:

إن مصطلح الخطاب "ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة، التي يرى بها بنفنست أن اللفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ، يُعرف بنفنست الخطاب باعتباره" الملفوظ منظوراً إليه من وجهة نظر آليات وعمليات اشتغاله في التواصل". والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ. أي" كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعا وعند الاول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " (يقطين، 1997: 19).

أن "التداولية في عمومها تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوبا في فهمه وإدراكه، بدراسة كيفية استخدام اللغة، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستعمال، وشرح سياق الحال والمقام الذي فيه المتكلمون خطاباتهم، فاهتمامهم يصب أساسا على المتكلم، انطلاقا من سياق الملفوظات التي يؤديها إلى جانب تحليل وظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عملية الاتصال، ولذلك سماها بعضهم : لسانيات الاستعمال اللغوي" (يوسف، د. ت: 684) .ولأن الخطاب " يسعى من خلال وظيفتيه التعامليّة والتفاعلية، إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، إذ يبرز في الخطاب مقاصد كثيرة؛ قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب، وقد لا تظهر" (الشهري ، 2000: .(vi

إنّ مبادئ تحليل الخطاب أو تحليل الخطاب النقدي" موجودة بالفعل في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قبل الحرب العالمية الثانية، وبدأت تلك المبادئ التركيز على اللغة والخطاب فضلاً عن اندماجها معا للسانيات النقدية " Critical Lingnistics ولا يُعدّ تحليل الخطاب اتجاهاً ومدرسة أو تخصصا إلى جانب المقاربات العديدة في دراسات الخطاب، بل يرمي إلى تقديم وسيلة" أو منظور مختلف في وضع التنظير والتحليل والتطبيق في الحقل برمته، فقد نجد منظوراً أكثر أو اقل أهمية في المجالات المختلفة كالتداولية" (توين فاين دايك، 2014: 89).

علاقتها باللسانيات النفسية:

من الموضوعات التي تدرسها اللسانيات النفسية" كيفية اكتساب اللغة وإحداثها Language Production، وفهمها، ويسعى اللسانيون النفسيون إلى التعرف على طبيعة محتوى المكونات الشخصية للقدرة اللغوية البشرية، واكتشاف الطرائق التي تربط بها المعرفة اللغوية بالاستخدام الفعلي للغة" (علي، 2004: 21-22) ، وذلك بالاستناد إلى "حدة الانتباه وقوة الذاكرة الشخصية، والذكاء، وبعض جوانب الطبع، وهي كلها

عناصر تشرح ملكة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي ولها تأثير كبير في أداء الأفراد، وبذلك فإن التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية في هذا المجال" وفي الأخير تبقى التداولية " مدينة لهذه التيارات المختلفة تتوسل بها في معالجة اللغة بعدها أهم ما يميز واقع الإنسان". (بوجادي، 2009: 62).

التداولية والدلالة:

لقد اهتمت الدلالة منذ نشأة اللسانيّات بخصائص نظام اللغة سواء في التراكيب والمفردات اللغوية أو في بنية الذهن كما هو الحال عند البنيويّين والتوليديّين. فكان التركيز على علاقة المعنى بالشكل اللغوي (تركيب؛ مفردة)، فدلالة الكلمات والتراكيب اللغوية ليست فقط نظاما بنيوياً يربط الشكل بالمعنى ويقبل الوصف والتحديد ضمن قواعد بنيويّه وقواعد توليديّة، بل هي متفاعلة مع معطيات المقام من متكلم وسامع وظروف محيطة بهما. ولذلك نلاحظ القول يمكن أن تكون له دلالات مختلفة بين مقامين مختلفين. وهذا الاختصاص الذي يربط دلالات اللغة بالاستعمال ضمن مقام محدد هو ما بات يعرف اليوم بالتداولية. ولذلك يمكن أنّ نميز إضافة إلى الدلالة المعجمية للألفاظ والدلالة الترتيبية للجملة. ضربا ثالثاً من الدلالة نسميّه الدلالة التداولية. كما يمكن التمييز في علاقة علم دلالة بالتداولية بين تصوّرّين نظريّين متناظرين لا يزالان متصارعين: أحدهما يعتبر التداولية جزءاً من دلالة النظام اللغوي.(وجهة لسانية) والثانية تعتبر أن التداولية ليست جزءاً من دلالة اللغة بل شيئا منفصلاً عن النظام يدرس الصلات بين الرموز اللغوية ومسمياتها، ولا يُعنى بتفاصيل القول. وإنّ وسم علم الدلالة بالتداولي يعني أنّ علم الدلالة يتقاطع في اهتماماته مع التداولية في الفلسفة. لكنّ الباحثين يميّزون بين تداولية تتبع اختصاص اللسانيات وتداولية تتبع اختصاص فلسفة اللغة. (عثمان، 2018: 39).

٤. الأطر النظرية والتطبيقية

التداولية: تعاريفها

لغةً: وردت مادة (دول) على اختلاف اشتقاقاتها بمعانٍ عدة في المعاجم اللغوية، أحدهما يدلّ على تحول شيء من مكان الى مكان آخر، " (ابن فارس، 1998، م2: 314) " دال الزمان يدول دَولة ودُولة: دار وانقلب من حال الى حال" (التونجي، 2003: 179)، وعلى نهج مقاييس اللغة سار صاحب معجم " أساس البلاغة" يقول:" دول دالت له الدولة ودالت الأيام، بكذا، وتداول القوم الشيء بينهم، اذا صار بعضهم الى بعض، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذلك، ومن ذلك إلى هذا، فمدار اللفظ هو التناقل والتحول بعد أن كان مستقر في موضع ومنسوب إليه، وقد أكتسب مفهوم التحول والتناقل من الصيغة الصرفية (تفاعل) الدالة على تعدد حال الشيء كما ينتقل المال من هذا إلى ذاك "(بوجادي، 2009: 146-147) . أي تحديد النقلة والحركة ضمن المجال التداولي. " والدال: الظافر ويُجمع دولان. وأنشد الأزهري للخليل بن أحمد: (لهروي، 1999، ج1: 658).

وَفَّيتُ كُلَّ صَديقٍ وَدَّني ثَمناً إلّا الْمُوَّمِلَ دولا بي وَأَيّامي

والاسم (الدَولةُ)، (الدُولة)، بفتح الدال وضّمها وجمع المفتوح (دِولٌ) بالكسر مثل قِصعةٍ وقِصعٍ مثل غُرفةٍ وغُرفٍ ومنهم من يقول:(الدُولةُ) بالضّم في المال وبالفتح في الحرب،(ودالتِ) الأيّام (تداولُ) مثل دارت الأيام تدور وزناً ومعنىً" (المقري الفيومي، د، ت، ج1: 203)

البيت يرتبط بمعناه مع الرأي الذي يُحوَّل الله عز وجل النصر والظفر من طائفة إلى اخرى. ودُولة: " مُلكُ متداولٌ في الأيدي" (محيسن ، محمد سالم، واخرون، د. ت: 250).

التداولية اصطلاحا: في الحقيقة لم يرد لها تعريف اصطلاحي في كتب التعريفات ولا في الكتب التي تحدثت عن مصطلحات العلوم والفنون قديما إلا إننا وجدنا لها تعريفات باستطاعتنا وضعها ضمن حقل التعريف الاصطلاحي لأنه الأقرب.

فالتداولية فرع من فروع علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ودراسة معناه؛ لأن المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم والسامع وحدهما، وإنما في تداول اللغة بين الأطراف، لذا فأنّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه الكلمات أو عبارات هذه الألفاظ. والتداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم.

يتضمن ميدان الدراسة هذا بالضرورة، تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال، كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي يُنظِم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقاً لهوية الذي

يتكلمون إليه، وأين، ومتى، وتحت أية ظروف. التداولية هي دراسة المعنى السياقي" (يول ، جورج، 2010: 19) . ولكن أي معنى سياقي؟ المعنى الذي يُحاط بظروف الهُوية وربما يقُصد هنا الهوية الاجتماعية، أو مقصدية المتكلم ذاته، السياق الذي يخضع لآلية معينة تجمع الحوار بين المتكلم والسامع، أي الظروف التي ينجمعُ بها الطرفين. "فقول القائل **أنا** عطشان مثلاً قد يعني أحضر لي كوباً من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخباراً بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما يقول وإن كان الامر كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضا؟" (نحلة، 2002: 12-13) . التداولية" تصف الظاهرة الخطابية والتواصلية الاجتماعية، في الوقت نفسه، فهي تهتم بالتواصل وتحليل الوقائع ، و" يشار الى التداولية وتعني التداولية ارتباط العلامات بمستعمليها، انطلاقا من اهتمامات الباحثين حول دراسة استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة وزادت عنايتهم بقواعد التخاطب، ومبادئ التعاون الحواري، ومنطق التأدب، كل ذلك جاء تيسيرا لعملية التواصل في ظل اللغة الطبيعية ومقتضيات الأحوال" (مدور، 2014: 49) . نفهم مما ورد أعلاه أن غاية التداولية أمرين: الأول : هو النفع ، والثاني هو التواصل بواسطة اللغة، وليس الهدف دراسة اللغة ذاتها. لِذا نجدُها أهتمت واعتنت بالخطاب والتخاطب، بمبادئ الحوار، وفق اللغة الحالية، الطبيعية.

والتداولية " علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويَدمج، من ثَمَّ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره" (صحراوي، 2005: 16) صحراوي لم يشر إلى التداولية كمفهوم فلسفي قديم وإنما أتفق مع القدماء -خاصة الغربيين منهم- إنّها علم للتواصل واشار إنّها (علم جديد)، وإلى تعدديتها في العلاقات المعرفية. وهنا نجده يجمع بين مفاهيم من سبقوه، وهو يبحث عن ماورائيات الخطاب والطبقات المقامية. وفق الوضوح والنجاح . فتعاريف التداولية تتفق على " أنّ اللغة اجتماعية يمارسها أناس يعيشون في المجتمع، وفق قواعد الخطاب المتعارف عليها فيما بينهم، ويبدو أن الحقل الأوسع في تعريفها هو المرتبط بظروف النشأة والخلفية الفكرية للتداولية؛ ذلك لأن التداولية لم تُعرف – في الغالب – بماهيتها، بل بإجراءاتها وتحليلها للخطاب في الواقع" (بوجادي، 2009: 74-75).

يبدو أنّ " التداولية مستساغة لأنها تتعلق بالكيفية التي يتمكن من خلالها الناس فهم أحدهم الأخر لغوياً، ولكنها قد تنقلب لتكون ميداناً دراسيا محبطاً لأنها تتطلب منّا فهم الناس وما في عقولهم" (يول ، جورج: 2010: 21) أما أوستين Austin) يُعرّفها " بأنها جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر" (عيسى، 2008: 11) ومن التأثير والتأثر نفهم أن التداولية تجمع أمرين هامين: (الامر الاول هو اللغة)، (الامر الثاني هو المجتمع) حيث يتكون لنا خليط عملي واقعي نابع من المستويين اللغوي والاجتماعي أحدهما متأثر والثاني مؤثر.

بينما تشارلز موريس 1938م فيرى)أنّها مفهوم دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية semiotics هذه الفروع هي:

- علم التراكيب: وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
- علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها

وتعتبر امتداد (للدراسة الدلالية) التي تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بنوايا المتكلم ومقاصده، والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النّص وتلقيه. لـ فراسواز رأي من حيث" أن النحو يدرس الجمل، وأن الدلالة تدرس القضايا. أما بالنسبة للتداولية فهي دراسة الأفعال اللسانية والسياقات التي تتم فيها"(مرتاض، د. ت: 38).

تعريفها اللساني:

- تعرفها لسانياً "آن ماري دبير Anne-Marie Diller، وفرانسواز ريكاناتي Francois((Recanati": هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية وهذا يعني أن للغة قدرة خطابية للتواصل مع الاخر من جهتين جهة الخطاب وجهة السياق.
- كما ويجتهد "بوجادي" في استغلال ما تقدمه اللسانيات التداولية- بِعدِّها آخر مولود للسانيات- من

اقتراحات لدراسة النّص الأدبي، والظفر بالدلالة الكاملة؛ الكامنة في النص ذاته، وفي نفس منتجِه، وفي نفس متلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازه وأدائه" (بوجادي ، 2009: ص7) إحدى تفرعات التداولية وظيفياً إنها بدأت في هذا التعريف باحتلال النص بعدما دخلت في السياق الذي هو مُحاط بظروف إنتاج.

التداولية في القرآن الكريم:

وقد ذُكرت مادة (دُول) مرتين في القرآن الكريم: في قوله تعالى:" إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ..." (سورة آل عمران آيه140)، وقد ذكر لها المفسرون عدة معانٍ منها: التداولية: إرسال الشيء من أعلى الى أسفل. يقال: أدلى دلوه أي أرسلها. وفي قصة يوسف (ع) قال تعالى: " وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ...." سورة يوسف الآية 19.) أي أرسلها في البئر ليملأها، فالدلو متداول بين مُرسِلِها ومستقبِلها. أي أرسلها في البئر ليملأها. هنا نلاحظ أن مفردة (التداولية) خضعت لاشتقاقات منها **أدلى، دلو،** فدخلت في مجال عملي(فعلي) بدليل الفعل (أدلى) الوارد في الآية، وهو عمل بحت من حيث تحول الماء بواسطة الدلو بفعل الأدلاء من الأسفل إلى الاعلى، أي بين مرسِل ومستقبِل. ويداول الله الايام بين الناس، يوم لهذه الطائفة ويوم للطائفة الأخرى " (السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ، ص851.) داول الأمر: نقله من واحد لأخر، نداول الأيام بين الناس: نصرفها بينهم، فنجعلها لهؤلاء مرة، ولهؤلاء أخرى" (مجمع اللغة العربية بمصر،1988، ج1: 422). و في قوله تعالى:" (وَلِذِي الْقُرْبَى و الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ") (سورة الحشر الآية 7). ومن الدلالة على الشيء: الإرشاد إليه، قال تعالى:" فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ..."0(سورة سبأ آيه14) ، فهذه دلالة بالاستنتاج العقلي" أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ **دَلِيلًا**..."(سورة الفرقان آيه45).

التداولية وعلاقتها بأخواتها من المصطلحات المشابهه:

مصطلح التداولية يُعدّ نظرية واسعة ومتشعبة ومتداخلة مع الكثير من العلوم الفلسفية والاجتماعية والنفسية والرياضية وغيرها، " فأثمرت كوكبة من المصطلحات والمفاهيم، إلى حد التعدد والتداخل والانتشار، مصطلح تداولية ينطلق من فكرة مؤداها أنّ صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع" (الرحموني، 2008: 5) ؛ ولعل أول مصطلح قد أصابه نصيب كبير من الخلط والاضطراب هو مصطلح (التداولية) الذي تداخل كثيرا مع مصطلح (الذرائعي)كونها ترجمة لمصطلح أصلي واحد هو(pragmatique) أو(pragmatic) وكذا (pragmatisme) أو(pragmatism)، خصوصا إذا وقفنا على الدلالة المعجمية للمصدر الأجنبي والذي يعود الى الكلمة الأجنبية (pragmatics) التي يؤرخ لاستعمالها بالقرن الخامس عشر الميلادي" (عواد، 2011: 5) .

ولأن مصطلح التداولية ظهر ايضا عند اللسانين المغاربة وهنا تكمن مسألة استخدام (التعريف بمصطلح التداولية) إلى استخدام المجالات المفهومية للمصطلح: لأن التداولية في ذاتها لا تنحصر في مجال معين فتكتسب تعريفا محددا، ولكن بتعدد مجالاتها، وامتداد اهتماماتها، اكتسبت تعدد مفهوماتها. " غير أنّ الذي أوقع الباحثين في هذا الالتباس هو علاقة (التداولية) باعتبارها بحثاً ألسنيا بالمذهب الفلسفي الذي يسمى الذرائعية أو البراغماتية، وقد أشار إلى هذا الخلط أحد الباحثين في قوله: يجب الا نخلط بين علم التداولية (pragmatisme) والمذهب البراغماتي(pragmatic) وهو المذهب الفلسفي الذي يركز على كل ما له أهمية عملية للبشر، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة، مما يعني أنّ الفصل بينهما أمر حتمي رغم اشتراكهما المبدئي، في أبعاد واحدة كالغاية والمقاصد الفعلية في الواقع العملي، مع الإشارة إلى أنّ مصطلح (البراغماتية) بالمعنى الفلسفي أقدم نسبياً من مصطلح (التداولية)، وذلك لأن البراغماتية فلسفياً أسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد سقراط، ثم أرسطو. "ومنه ترجمة مصطلح (pragmatigue) حينا وتعريبه

حينا آخر تعددت على هذا الأساس مصطلحات شتى مثل: التداوليات، الذرائعية، الذرعية، مذهب الذرائع، النفعية، المقامية، الوظيفية، السياقية، البراغماتية، البرجماتية، والبراكمتية، وعلم المقاصد والدراسة الاستعمالية، والذريعيات، فضلاً عن مصطلحات أخرى لا تقل إثارة وإلفاتا للنظر نحو: البراغماتكس، البراغماتزم، البركماتية، الذرائعية الجديدة، ثم البراغماتية اللغوية أو اللسانية مقابل البراغماتية بالمفهوم المطلق" (المصدر نفسه ، 2011: 51).

من هذا نفهم أن هناك علاقة وطيدة بين المفهومين الفلسفيين (التداولية والبراغماتية) من خلال الفصل بينهما يتم التعرف والوصول إلى المقاصد ولكن أي مقاصد منها؟ المقاصد الفعلية . وأي فعلية منها؟ الفعلية التي في الواقع العملي.

وهنا يتفق الدكتور عبد الملك مرتاض حيث يشير إلى الغموض الكبير الذي يعتريها لتعدد المفاهيم المنبثقة عن النظريات الغربية، يرى أنّ أصل المصطلح يعود إلى" اللغتين الأغريقية Pragmatikos اللاتينية بالمعنى القانون Pragmatika sanctio ، ولهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات: قانونية، وهو الاستعمال الأصل فيما يبدو، ثم فلسفية ومنطقية وريـاضياتية، ثم أخيرا لسانية (دلالية) وبلاغية(سياقية)، وسيميائية (تأويلية) "(مرتاض، د. ت: 155)

وهنا يذكر طه عبد الرحمن" وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح" التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي" براغماتيقا"، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال" و " التفاعل معاً " (عبد الرحمن، 2000: 28). في الوقت ذاته يجد البحث أنّ هناك ما يجري التمييز بين المادة اللغوية (أو اللسانية) للمادة شبه اللغوية (أو شبه اللسانية) رغم زخم الأدلة التي ينطوي عليها التفاعل، ومنها: النبر، شدة النطق، الوقف، الزفرات الخ، إن شبه لغوي ولغوي يتعارضان مع المادي غير اللغوي: المظهر الجسدي، المواقف والمسافات، الحركات، النظرات... "(دومينيك ،2005: 93) ربما يجد طه عبد الرحمن من خلال كلامه أن للغة الجسد شأن في الموضوع الذي يتعلق بالمظهر الخارجي وغيره...

جاء في كتاب فيليب بلانشيه ما يعزز ذلك حيث يرى أنه بالنظر إلى ارتباط التداولية بتخصصات متعددة فلا غرابة أن ندرك أنّ هناك من" يضع تيارات علمية قوية موضع تساؤل؛ حتى في أسسها النظرية والمنهجية، وحتى في تحديد وضعيتها الاختصاصية. بل إننا نتساءل وجود **تداولية** بصيغة المفرد، إذ يفضل اعتبارها **"تداوليات"** (Pragmatiques des)، بصيغة الجمع. ويذكر ايضا أنّه " كما وضعنا مصطلح " المجال التداولي" الذي يتردد في النص والذي أخذ هو الآخر، يشق طريقة إلى كتابات الباحثين، وقصدنا به" كل المقتضيات العقدية والمعرفية واللغوية- القريبة منها والبعيد- المشتركة بين المتكلم والمخاطَب والمُقومة لاستعمال المتكلم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه" (عبد الرحمن، 2005: 243) .

أهداف التداولية:

ترمي التداولية في جسها لنبض أطراف التواصل، إلى ترقية فكرة تشو مسكي(Chomsky) حول الكفاءة اللغوية، إلى كفاءة تواصلية تداولية تُعنى بالسبل السليمة للتلفظ في مجالات الحوار والاتصال، ومن ثمة صياغة قوانين تضمن لكل مخاطبة إفادة، وتقلم فائض التأويل وتحصر المعاني المتداولة بين مرسِل ومرسَل إليه في معاني صريحة وحقيقة وواضحة، وترتكز هذه القواعد والقوانين على اللغة، فتجعل منها الأداة المحققة للتواصل الناجح، ذلك أن اللّغة هي بمثابة الجوهر الذي يمكن للأفكار التي لا يتسنى نقلها- لأنها مجردة- أن تصبح من خلالها قابلة للنقل بأوسطه الجُمل التي نعبر بها" (ينظر: الرحموني، 2008: 7) وهو حين يُقلّم فائض التأويل فهو يحاول ايصال اكبر قدر من اللغة ومعانيها بأقل الكلمات. إنّ ظهور التداولية ما جاء إلا لأجل تحقيق مجموعة أهداف، ويمكن ايجاز هذه الأهداف بعدة نقاط: كيفية دراسة "استعمال اللغة"، التي لا تدرس" البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، باعتبارها كل الأطراف محددة ومعينة(الكلام، المتكلم، المخاطب الذي يوجه له الكلام، وتحديد اللفظ الذي يتم به الكلام في " مقام تواصلي محدد" لتحقيق " غرض تواصلي محدد" "، من أجل

تحقيق غرض تواصلي معيّن" (ينظر: صحراوي، 2005: 26)

هذا يعني أن التداولية تصب اهتمامها بقضية (التلاؤم بين التعابير)، على اعتبارية انّ الكلام مختلف بين فرد وأخر، حسب السياقات وحسب الطبقات المقامية المختلفة في كل الخطابات، تدرس التداولية اللغة من خلال الكلام الصادر من المتكلم والموجّه إلى المستمع، كذلك تبحث عن هذه الاختلافات الموجودة بين هذه الطبقات، وعن كيفية استعمال اللغة في السياقات والطبقات المختلفة حتى يتم تحقيق غرض تواصلي معّين، ناهيك عن أنّ دراسة التداولية للغة سيسهم في وصفها ورصد الخصائص التي تمتلكها كل لغة وتفسر ظواهرها الخطابية التواصلية.

- " شرح كيفية جريان العمليّات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- شرح الأسباب التي ادت إلى فشل المعالجة البنيوية في معالجة الملفوظات
- تسعى التداولية إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات، وهي ليست تكملة لها وإنما جزء لا يتجزأ منها.
- بيان الأسباب المناسبة للتواصل غير مباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر. (آن روبول وجاك موشلار، 2005: 48).
- السعي لتجاوز النّظرة الصّورية للّغة التي كانت محلّ اهتمام المدارس اللّسانية المعاصرة، والقفز لنظريات لسانية وظيفية أو(تداولية)، من أجل العناية الكافية بالظروف المواتية عند استعمال اللّغة. (المتوكل، 1985: 8)
- دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، من أجل تحقيق العلاقة بين علمي اللغة والتواصل. (صحراوي، 2005: 27)

التداولية نشأتها:

يبدو أنّ النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، في الستينات من القرن العشرين كان محطّ اهتمام العلماء والفلاسفة ومنهم أوستين، يبدو لنا " أن اصل هذه النظرية يعود إلى الفلسفة التي سادت في عصر أفلاطون(platon)، وأرسطو وصولاً إلى سيناك، وشيشرون وكومنتليان وهؤلاء طوروا منهجاً كلاسيكياً للبلاغة يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع".

وهناك من يقول:" أنّ النظرية التداولية تعود للفيلسوف الأمريكي تشارز ساندرس بيرس Charles Sanders (Peirce)، الذي وضع معالم التداولية في مقالَيْهِ:" كيف تجعل أفكارك واضحة، How to make our ideas clear نشر سنة1878م "وماهي البراغماتية" What pragmatics is نشر سنة 1905م..." (بلانشيه، 2007: 20-21).

وقد كان أرسطو(Aristote)" قد ميز بين (الخطاب الجدلي) الذي يتوجه إلى إنسان مجرد يختزل في وضعية معينة تشترك مع المتكلم في سننه اللساني وبين القول الخطابي الذي يتوجه إلى إنسان واقعي يتمتع بملكة الحكم، وذي انفعالات وعادات ثقافية، "وقد شارك (أوستين John Austin) ؛ تلميذه (سيرل John rogers Searle)؛ في وضع نواة التداولية في حقل اللغة العادية (ordinaire)، إذ طورّا من وجهة نظر المنطق التحليلي (logiqueanalytique) مفهوم " العمل اللغوي"(act de langage). مع إن أوستين يعد أول باعث لنظرية الأعمال اللغوية" (المصدر نفسه، 2007: 20). منطلقا من ملاحظة بسيطة مفادها : " أنّ الكثير من الجمل التي ليست استفهامية ولا أمريه ولا تصف أي شيء، ولا يمكن الحكم عليه معيار الصدق او الكذب، ولا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئاً عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها مثل: آمرك بالصمت، حيث أنه يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه، يُحتمل أنه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه. وقائل:" أعمّدك باسم الأب والابن والروح **القدس**، حيث ينقل الفرد الذي يتوجه إليه بالخطاب من حالة عدم التدين بالنصرانية إلى حالة التنصر".(آن روبول جاك موشلار، 2005: 30) وانطلاقاً من هذه الملاحظة استنتج أوستين ما يلي: من ضمن الجمل غير الاستفهامية أو الأمريه أو التعجبية، أي من ضمن الجمل الخبرية، توجد (ينزلُ المطرُ) التي تصف الكون ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فسمى أوستين الجمل من الضرب الأول وصفية، ومن الضرب الثاني إنشائية وتتفرد الجمل الإنشائية بعدد معيّن من الخصائص لا توجد في الجمل الوصفية، وبما أن هذه الأساليب، أساليب بلاغية تقابلها في الثقافة اللغوية العربية الجمل الخبرية، والجمل الإنشائية،" والأدوات المختلفة منها(أدوات التوكيد، النفي، التعريف، التنغيم،...)، تعالج كيفية التأثير في الأخر وإقناعه وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها. وهذا يُعدُّ من صميم البحث التداولي، حيث يعالج درجات التفاعل الإتصالي بين المخاطِب

والمخاطَب وشدة التأثير وقوته، التي تتم بالأفعال الكلامية الموظّفة في الخطاب" (لهويمل، وآخرون: 2017: 45).
يعترف (كارناب) " أنّ التداولية درس غزير وجديد، بل إنها قاعدة اللسانيات، تحاول البحث عن حل العديد من الأسئلة المطروحة في البحث العلمي، التي لم تجب عليها مناهج أخرى، وقد برزت عدة مشكلات في التحليلات اللغوية الشكلية ولذلك يرى **ليتش**، أنّ في المنهج التداولي حلاً لبعض هذه المشكلات- والمقصود بها مشكلات البعدين " الدلالي والتداولي الذي دعا للتفكير بهما ضمن الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة معظم العلماء... بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل (إخفاق) نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب (ينظر: إدريس، مقبول: 2004: 245) ؛ (الشهري، 2000: 24). من جهةٍ أخرى نجد سيبربر و ولسن يُنّزلان تداوليتهما ضمن مقاربة فودور. من مثل أخذهما بالمقصد التواصلي ، مع أنّ العديد من منظري التواصل لا يرون ضرورة إلا للمقصد الإخباري" (آن روبول جاك موشلار،2005: 79).
يظهر من خلال رؤية سيبربر و ولسن أن الحديث عن نوع السياق المتداول عندهم من مجموعة من الأقوال بشكل ترتيبي، ويبدو من هذه الاقوال تتكون الافعال القولية التي تنزل للنظرية الأم، الغاية منه مقصد تواصلي الذي هو موضوع البحث مقابل المقصد الإخباري. وكما نعرف أنّ لموضوع تموضع الملفوظات في اللغة والدور الذي تلعبه الملفوظات، من حيث أنها تعبر عن اللغة، بين طرفي الإرسال ، لكن يبدو أنّ الذي أتى به ليتش؛ لاحظ التلفظ وليس الملفوظات ذاتها في إنتاج الخطاب، وهنا المعادلة تحصر(اللفظ والملفوظات) في خانة معرفية تداولية جديدة ضمن المنهج التداولي كحل للمشكلات بين طرفي الإرسال.
" على أن التداولية لم تكن درسا رصينا يُعتد به إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، هم: أوستين ، وسيرل، وجرايس (مع أن سيرل وجرايس أنما تعليمهما في كاليفورنيا)، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية (natural language)، أو العادية (ordinary) في مقابل مدرسة الشكلية أو الصورية(formal language) التي يمثلها "كارناب"، وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسِل رسالة إلى مستقبِل يفسرها، وهو عمل من صميم التداولية" (ينظر: عبد الرحمن، 2005: 27).
يبدو أنّ ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه، ولكن تنوعت مصادر استمداده إذ لكل مفهوم من مفاهيمها حقلا مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار" الفلسفة التحليلية" بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثق من فلسفة بول غرايس. يتضح من ذلك أن الكلام يتطابق مع ما سبقه من حيث تعدد مفاهيمها يعود لتعدد مناخاتها المعرفية.

التداولية والفلسفة التحليلية

أما بالنسبة لمفهوم الفلسفة التحليلية، فيتلخص في جملة من المطالب والاهتمامات:

- " ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع التحليل اللغوي.
- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه"

وهنا لابد من أن نفهم شيء مفاده " أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تُعبر له عن هذا الفهم. وتلك رؤي مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها، ذلك أن فلسفة عصرنا؛ وخلافا للعصور السابقة، يوحّد بينها اهتمام مشترك باللغة، إلى حد أن جميع مسائل الفلسفة- حتى تلك المتوارثة عن الماضي- تجري مناقشتها، بصورة واضحة أو غير واضحة، عبر مصطلحات وإجراءات لغوية. (صحراوي، 2005: 16).

ولكن لابد من شيء من التوضيح بالنسبة " للفلسفة التحليلية حيث انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات كبرى:

أ- الوضعانية المنطقية: Positivisms logique بزعامة رودولف كارناب .
ب- الظاهراتية اللغوية: Phenomenologie du langage بزعامة إدموند هوسرل.
ت- فلسفة اللغة العادية: Philosophie du langae Ordinaire بزعامة فيتغنشتاين.

أن جميع مشكلات الفلسفة تُحل باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أنّ الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وهنا

يشـــير صـــحراوي أن لودفيغ راح " يطور فلســـفته الجديدة التي توصـــي بمراعاة الجانب الاســـتعمالي في اللغـة، فـالاســـتعمـال هو الـذي يكســـب تعليم اللغـة واسـتخدامها وبالتأكيد أن تراث فيتغنشـتاين لم يكتسـب مكانته الحقيقة في التداولية إلا بعد أن تبناها فلاســـفة مدرســـة أوكســـفورد خاصـــة من قبل " جون لانشـــو أوسـتين قد بدأ أثر فيتغنشـتاين عليه واضـحاً في كتابه عنـدمـا يكون القول هو الفعل. وتلميذه جون روجرز سـيرل John Rogers Searle في اسـتلهامه لبعض أفكار هذا الفيلســـوف واتخاذها معايير وأســـســـا في دراســـة القوى المتضـــمنة في القول" (صـــحراوي، 2005: 23) ويقترح غرايس تنميطـاً للعبـارات اللغوية، يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أســـاســـها إلى معان "صـــريحة" ومعانٍ "ضـــمنية" وتُعد معاني " صـــريحة" المعاني المـدلول عليهـا بصـــيغـة الجملـة ذاتهـا في حين تُعد "ضمنية" المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة.

٥. الخاتمة

توصـــل البحث إلى مجموعة م النتائج يمكننا تســـليط الضوء عليها ومن أهمها:

تعتبر اللسانيات التداولية هي امتداد للسانيات البنيوية؛ فهي مكملة لها، فإذا كانت اللسانيات البنيوية تهتم باللغة كنظام، فأنّ التداولية تهتم بالكلام في سياقاته الاجتماعية والثقافية ومقاصد المتكلمين.

تقع التداولية في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني وهذا ما يجعل تحديد مفهومها أمرا صعباً وذلك بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر الفكرية والمعرفية.

المنهج التداولي في إنتاج الخطاب يتجاوز المستوى الدلالي، ويبحث في علاقة العلامات بمؤوليها؛ وذلك بدراسة اللغة عند استعمالها مع مراعاة مقاصد المتكلمين .

إنّ العلماء العرب من بلاغيين ونحويين وأصوليين وغيرهم كانت لهم اهتمامات لغوية وربّما كان جُلّ الاهتمام لغوي- ديني وهذا بحد ذاته كان دافعاً لدراسة صيغ الأساليب الكلامية والمعاني المتفرعة عنها، وحاولوا تمييزها عن بعضها البعض وفقاً لمعايير أقل ما يقال عنها أنها معايير تداولية بحته، فكانت دراساتهم وتحليلاتهم اللغوية تقوم على أهم المبادئ التداولية التي أسس عليها التداوليون المعاصرون الاتجاه التداولي.

إنما التداول حركة وانتقال، و هذا الانتقال له ظروفه، وظروف مُســـتعمِل وظروف اســـتعمال، لكن المعنى الأكثر قرباً من لسـانيات الاسـتخدام هو حركية المعنى داخل النص سواءً كان النص مكتوباً ام مقروءاً.

دخول التداولية في مجالات الفلسفة المشروطة بالنفع، من حيث صـــحـة الفكرة، وصـــحـة التخـاطـب بين المتخاطبين وطريقة استعمال اللغة من اجل التواصل، فالنفع والتواصل الهدف من خطاب اللغة الطبيعية.

تبـدو العلاقـة متينـة جـداً بين المفهومين الفلســـفيين (التداولية، والبراغماتية) ومشتقاتها، حيث يمنح المفهوم نوع من التوسـع في المعنى بما له من علاقة بالأعمال والوقـائع الحقيقيـة، ممـا ينتج تعـدد تعـاريف ومفـاهيم التداولية يمنحها الكثير من مجالات الاسـتخدام اللغوي اللسـاني بالذات، والمعرفي، خاصـة قضـية التلاؤم بين التعـابير الرمزيـة والســـيـاقـات المرجعيـة والمقـاميـة والحداثية والبشرية،

تميز التداولية عن غيرها من فروع علم اللغة توسـمها بمقصـــديه المتكلم الملتصـــق بالهوية الاجتماعية، المرتبطة باللغة والمجتمع.

التداولية لم تكن حبيسـة الجانب الغربي فقط، وإنما لليد العربية ابداعات تداولية ضمن اللغة والخطاب والبحث عن شروط نجاح التواصل في الخطاب.

تحديد محاور الرسالة والخطاب في مجال التداولية من ناحية اســـتعمال اللغة كونها لا تدرس" البنية اللغوية" ذاتها، بل تدرس اللغة عند اســـتعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، باعتبارها (كلاماً محدداً، صـــادرا من متكلم محدد، وموجهاً إلى مخاطب محدد، بـــلفظ محـدد، في مقـام تواصـــلي محـدد؛ لتحقيق غرض تواصلي محدد).

اشـتغال التداولية على جمل وصـفية وإنشـائية جعل من اتجاهها هذا ما يشـــترك مع لغتنا العربية الكثير في مجـال التطبيقـات الـذي وإنْ طُبقـت عليهـا في اللغـة العادية التي تُعتبر لغة مدرســـة إســـكفورد وتلاميذها (أوستين وسيرل) كلغة فلسفية تحليلية.

يبدو أنّ من هذه الجمل تتكون الافعال القولية، الغاية منها مقصـد تواصـلي الذي هو موضـوع البحث مقابل المقصـــد الإخباري. نـاهيك عن دخول ســـلوكيـات المتحدث او المتكلم وانعكاسات سيكولوجية وبيولوجية تكونـت لـدى النظريـة معطيـات للتواصـــل من خلال سلوك الانسان.

تعدد علاقات التداولية مع العلوم الاخرى يفسح المجال أكثر بتعدد وتوسع اتجاهاتها اللغوية والتعبيرية.

٦. المراجع

ابن فارس ، أحمد (1991م) ، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، لبنان، دار الجبل، ط2.

إدريس مقبول (2004م)، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، المغرب، العدد الاول، المجلد33.

آن، ربول؛ موشلار، جاك (2005م)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين محمد دعسوقي الشيباني، بيروت ط1.

بحيري، سعيد حسن (1997م)، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، القاهرة- مصر، مطبعة نوبار، ط1.

بلانشيه، فيليب (2007م)، ، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشه، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1.

بوجادي، خليفة (2009م)، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر، بيت الحكمة، ط1.

التونجي، محمد(2003م)، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط.1

الجرجاني، الشريف، علي بن محمد (1998م) كتاب التعريفات، تح: محمد الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط4.

حامدة، تثقبايت (2012م)، قضايا التداولية في دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني، اشراف، ذهبية حمو الحاج الجزائر، جامعة مولود معمري.

الحباشة، صابر (2008م)، التداولية والحِجاج مداخل ونصوص، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، ط1.

الرحموني، بومنقاش (2008م)، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، الجزائر، مجلة دراسات ادبية، العدد الاول.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2000م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، لبنان، دار الكتاب الجديد، ط1.

صحراوي، مسعود (2005م)، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1.

عبد الرحمن، طه (2000م)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المغرب، المركز الثقافي العري، الدار البيضاء، ط2.

عبد الرحمن، طه (2005م)، تجديد المنهج في تقويم التراث، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.

عثمان، طه سليمان عبد الله (2018م)، التداولية خصائصها وآلياتها دراسة في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، أطروحة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم التكنلوجيا.

علي، محمد يونس (2004م)، مدخل إلى اللسانيات، بيروت- لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.

عواد، عبد القادر (2011م)، آليات التداولية في تحليل الخطاب، السعودية، مجلة علامات، العدد19.

عيسى، عبد الحليم (2008م)، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية الدراسات الأدبية، جامعة وهران، العدد1.

غلفان، مصطفى (2013م)، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، بنغازي- ليبيا، دار الكتاب المتحدة، ط1.

فان دايك، توين (2014م)، الخطاب والسلطة، القاهرة، تر: غيداء العلي، تح: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط1.

الفيومي المقري، أحمد بن محمد (د. ت)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، القاهرة، الناشر دار المعارف، ط2.

لهويمل، باديس، حسني، نور الهدى(2017م)، مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي، متابعة تداولية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني.

مانغونو، دومينك (2005م)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الجزائر، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1.

المتوكل، أحمد (1985م)، الوظائف التداولية في اللغة العربية، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1.

مجمع اللغة العربية، (1988)م، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مصر، ط2.

محيسن، محمد سالم، إسماعيل، شعبان محمد،(د. ت)، الهادي الى تفسير غريب القرآن، الباب الأخضر، دار الاتحاد العربي للطباعة، د. ط.

مدور، محمد (2014م)، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة)، دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة الحاج الخضر بانته.

مرتاض، عبد الملك: في نظرية البلاغة في نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا، دار القدس العربي، ط2.
نحلة، محمود أحمد (2002م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية، د، ط.
الهروي، محمد، (1999)م، الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، الرياض، ط1.
يقطين، سعيد (1997م)، تحليل الخطاب الروائي، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3.
يوسف، عبد الفتاح، التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب، حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافية، جامعة المنصورة، مصر.
يول، جورج (2010 م) ، التداولية، تر: قصي العتابي، المغرب، دار الامان، ط1.

المستخلص باللغة الانكليزية

This research paper deals with revealing what is related to the subject with regard to shedding light on the mother of theory (pragmatics), its definitions, historical origins, and its relationship with other linguistic sciences; its position on analytical philosophy, and its relationship with other linguistic sciences. Including linguistic, rhetorical, structural, discourse analysis, and many other cognitive sciences, and standing on the multiplicity of terminology, in the West and among the Arabs; the research aims hard to reach a scientific benefit that lies in showing the importance of the pragmatic dimension as a science of modern linguistics, And highlighting its role among the sciences. Pragmatics was born from the womb of analytical philosophy within the framework of what is called the philosophy of ordinary language, and the philosophy of natural language, and the relationship between rhetoric and pragmatics is a communicative relationship that is keen to highlight the relationship between the sender and the receiver in finding its way; within the pragmatic field. The study concluded that the conditions under which natural languages are used within the context of communication create structures that define their characteristics. The study adopted a descriptive-analytical approach, appropriate to the nature of the study, which was the approach followed throughout. This is because analysis cannot begin without description. Therefore, the descriptive-analytical approach is the primary method in this study.